ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

The Internet as a Space for Alternative Networking on Urban Issues: The Facebook Group "Save Casablanca" as an Example

Mohammed Ismail
University of Hassan II, Casablanca, Morocco
Email : medismail56@gmail.com

Received	Accepted	Published
4/7/2024	12/7/2024	15/7/2024

DOI : 10.63939/AJTS.ez1qgt61

Cite this article as : Ismail, M. (2024). The Internet as a Space for Alternative Networking on Urban Issues: The Facebook Group "Save Casablanca" as an Example. *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(8), 225-244.

Abstract

This article presents a study examining the dynamics of social digital networks within the context of urban issues in the Moroccan city (Casablanca). It underscores the role of digital activists in advocating for urban concerns by investigating the virtual expressions of activists within the Facebook Save Casablanca network. Utilizing a qualitative methodology grounded in virtual ethnography, the research analyzes digital discourses, modes of interaction, and communication patterns within this online community. The findings underscore the significance of these digital practices in fostering a citizen network In order to defend the values of the city. Moreover, the study highlights the potential of these practices to facilitate the defense of the right to the city and to engender a paradigm shift towards a model of change characterized by interaction between social and political spheres.

Keywords: Digital Activists, City, Save Casablanca Network, Digital Discourse, Social Link

© 2024, Ismail, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
ISSN: 2750-6142

الإنترنت فضاءً للتشبيك البديل حول قضايا المدينة: المجموعة الفايسبوكية "أنقذوا الدار البيضاء" نموذجاً

محمد إسماعيل

جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

الايميل: medismail56@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/4/13	2024/7/5	2024/7/15

DOI : 10.63939/AJTS.ez1qgt61

للاقتباس: إسماعيل، محمد. (2024). الإنترنت فضاءً للتشبيك البديل حول قضايا المدينة: المجموعة الفايسبوكية "أنقذوا الدار البيضاء" نموذجاً. *المجلة العربية لعلم الترجمة، 3*(8)، 225-244.

ملخص

يعتبر هذا المقال دراسة في الشبكات السوسيورقمية ذات الاهتمام بقضايا المدينة المغربية (الدار البيضاء)، ويستدعي دور النشطاء الرقميين في طرح المسألة الحضرية؛ من خلال الخوض في نسق من التعابير الافتراضية والخطابات الرقمية لنشطاء الشبكة الفايسبوكية "أنقذوا الدار البيضاء". وذلك لفهم تأثيراتها في خلق روابط اجتماعية بديلة وإمكاناتٍ في الدفاع عن الحق في المدينة. تعتمد الدراسة على منهجيةٍ كيفية تقوم على توظيف الاثنوغرافيا الافتراضية والتي تسمح بتتبع وتحليل الخطابات الرقمية وأشكال الاتصال خلف الشاشة. استخلصتُ من ذلك أهمية الممارسات الرقمية والبصرية في خلق شبكة مواطِنة بأفق تضامني يناضل من أجل قيم المدينة، والانتقال إلى نموذج في التغيير يقوم على التفاعل بين مساحة الاجتماعي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: النشطاء الرقميون، المدينة، شبكة "أنقذوا الدار البيضاء"، الخطاب الرقمي، الرابط الاجتماعي

©2024، إسماعيل، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
ISSN: 2750-6142

مقدمة

يعيش العالم المعاصر تحولات اتصالية سريعة، أثرت على طرائق التفكير، وأساليب التواصل، وعمليات التنشئة، وكيفيات التكتل، وممارسة الفعل المدني والسياسي، والاحتجاج ضد السلطة. ويساعد التحول المستمر لتكنولوجيا الاتصالات في العصر الرقمي في وصول وسائل الاتصال إلى جميع مجالات الحياة الاجتماعية." (كاستلز، 2017، ص. 29). أفسح هذا المنعطف التاريخي لظهور "جيل مجتمع الشبكات، جيل خَبِر خدماتها المفتوحة وتمرَّس على الحرية التي يُتيحها فضاؤها الافتراضي، سواء في القول أو الفعل، الأمر الذي ساهم بفعالية ملحوظة في تشكيل روابط وصلات اجتماعية جديدة لدى الشباب" (زكاغ، 2023، ص. 19)، والذي حول الوسائل التكنولوجية، وتقنيات الاتصال الجديدة "إلى قوى أنثربولوجية وبيئية واجتماعية وتفسيرية" (المرجع نفسه، ص. 17) تفرض حضورها في الحياة الاجتماعية والسياسية.

يختبر الإنسان، في علاقته بالإنترنت، أشكالا جديدة من التشبيكات والتدفقات، ويعيد بناء انتماءاته الاجتماعية؛ من فك الارتباط مع ما أسماه باري ويلمان (Barry Wellman) مجتمع "الصناديق الصغيرة" (little boxes) (Wellman, 2002) بما هو نمط تنظيمي للجماعة التقليدية المتماسكة، أخذ في الانكماش والتراجع؛ نحو الارتباط بأنساق شبكية معقدة تنتمي إلى عالم مترامٍ سماه مانويل كاستلز (Manuel Castells) مجرة الإنترنت (The Internet Galaxy) والذي انكمشت فيه الحدود، وذابت كيانات محلية محدودة: المدينة، والقرية، والحي، والقبيلة، والعائلة... في كيانات كونية مفتوحة، كما تعرضت تنظيمات اجتماعية وسياسية تقليدية، من قبيل النقابات والأحزاب، للتقلص والضمور. وفي المقابل، لاحت في الأفق جماعات افتراضية[1]، وفضاءات ناشئة متعددة الأشكال والمقاصد، سمحت بميلاد ما أسماه ويلمان بالفردانية الشبكية(networked individualism) (Ibid.) حيث الأفراد أشبه بعُقد مشتتة لكنها متصلة؛ وبتعبير آخر: يتشابك أفرادٌ منفصلون.

يؤسس هذا التحول للتفكير في قدرة الأفراد الفاعلين، وإمكاناتهم في ابتكار أنماط من الاتصال التي تُنتج ممارسات رقمية متعددة الوظائف، وتنحو نحو خلق أشكال من المؤانسة الاجتماعية، مثل "المؤانسة عن بعد" (Flichy, 2005) أو "المؤانسة الجديدة" (Casilli, 2010) كأنها أنماط من الروابط المستحدثة والبديلة، تعطي القوة لما يبدو مجهريا وهامشيا، وتسمح باستثمار "قوة الروابط الضعيفة" التي صاغها مارك كرانوفيتر (Mark Granovetter)، وذلك لفهم الوظائف الجديدة للروابط غير المباشرة والثانوية في سياق الشبكات الرقمية.

نقترح التفكير في الكيفية التي أصبحت بها الشبكات الرقمية فضاءً لنشأة روابط اجتماعية بديلة يثار فيها النقاش حول القضايا العمومية من خلال دراسة حالة شبكة "أنقذوا الدار البيضاء". ينصب هذا البحث على مدينة مغربية مليونية (الدار البيضاء)، والتي "تعد، نظرا إلى وزنها الديمغرافي، مرجعا لدراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية ونوعيتها، مع العلم أن المدينة الكبيرة التي تنتج مضمونا ثقافيا خاصا بها تعمل على نشر القيم والتمثلات والسلوكيات السائدة بها في المدن الصغرى، وكذلك في المجالات القروية، وذلك بفضل هيمنتها الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية." (رشيق، 2016، ص. 24).

الدار البيضاء نموذجٌ للمدينة المركبة؛ فهي مسرح لنماذج حضرية متنوعة، وظواهر متناقضة، ومظاهر اجتماعية تستعصي أحيانا على التصنيف ضمن ثنائية قديم/ حديث. فهي تعكس "صورة فسيفساء من النسيج الحضري" (Anglade, 2015, p. 25) وتطرح، في الوقت الراهن، مفارقة على مستوى التطور والنمو: من جهة، تشهد تشكيل أنظمة حضرية متجددة

أسهمت في تطوير مورفولوجيا المدينة، لكن من جهة أخرى، يمكن اكتشاف مظاهر حضرية مقلقة: الزحف العمراني؛ الكثافة السكانية؛ استمرار وجود الأحياء الفقيرة؛ فقر في التجهيزات العامة؛ المساكن المتداعية؛ شبكة النقل غير الكافية؛ الأماكن الثقافية النادرة والمتمركزة في نفس الأحياء؛ الأنشطة الترفيهية النخبوية التي تكرس مزيدا من التفاوتات الاجتماعية..." (Ibid., p. 25-26).

هذا الواقع المفارق الذي تشهده المدينة، بقدر ما طرح حاجة ملحة لتخطيطٍ سياسي وتنموي مُدمج وناجع، بقدر ما كان عاملا في إثارة الكثير من ردود الفعل الحضرية. فعلى مستوى التخطيط وسياسة المشاريع، شهدت الدار البيضاء دينامية تنموية تمثلت في عدد من المشاريع من أهمها: مشروع المدينة الذكية[2] إلى جانب عدد من الأوراش والبرامج المتنوعة[3]. لكن، وفي الطرف الآخر، استمر وجود أوضاع اجتماعية مثيرة للقلق والتعاطف، فضلا عن إحساس جماعي بالإحباط، وبانعدام الثقة في المؤسسات، وشعورٌ بالسخط والغضب والظلم، وارتفاع مساحة المناداة بالكرامة والاصلاح والعدالة.

لاحت مختلف هذه المشاعر في خطاب نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي؛ واتخذت صيغة تعابير انفعالية، وصرخات منسولة من مواقف فكرية، واتجاهات ثقافية تسعى نحو تهييئ إمكاناتٍ في التكتل والتدخل، وتغيير الوضع القائم. يتجلى ذلك في إنتاج محتويات رقمية (تدوينات، وصور، وأشرطة) أو مركبا من الصور والنصوص؛ والتي تستخدم ماري آن-بافو (Marie-Anne PAVEAU) مفهوم "التكنوغرافية" technographisme[4] للتعبير عنها. وانطلاقا من تتبع وتحليل عينة من هذه المحتويات التي يتداولها نشطاء مجموعة "أنقذوا الدار البيضاء" حاولت الإجابة عن تساؤلات أساسية:

ما نوعية الخطابات والممارسات الرقمية التي تنتجها المجموعة الفايسبوكية "أنقذوا الدار البيضاء"؟ وإلى أي حد تشكل سلطة اجتماعية بديلة في الدفاع عن حق الأفراد في مدينتهم؟

1- الشبكات الرقمية بالمغرب ميدانًا للممارسات الاجتماعية والسياسية

يشكل الإنترنت في المغرب "فضاءً للنشاط الرقمي، وقد قادت تمثلات واستخدامات هذا الفضاء إلى تشكيل علاقات اجتماعية عززت مستويات التنشئة الاجتماعية، وسمحت، كذلك، بانبثاق فضاءٍ عمومي بديل "لمجموعات الأقليات"[5]". (Azizi, 2019, pp. 13-19) يعبر هذا الارتباط عن نزوع اجتماعي نحو توسيع نواة فضاء عمومي افتراضي يكرس حضور المجموعات الشبكية في بحث مصادر الاعتراف الاجتماعي، وتأكيد الهوية، والرغبة في استعادة الروابط الاجتماعية، وخلق أشكال من النشاط السياسي.

"نقل أغلب الشباب الناشطين نضالهم من الشارع إلى الفضاء الرقمي، وحاولوا مقاربة الأوضاع السياسية والاجتماعية بطريقة نقدية وساخرة في أغلب الحالات[...] وجدَت هذه التجارب في الشبكات الرقمية فضاءً خصبا للتعبير بحرية وعفوية عن أوضاع الطبقات الشعبية، بعيدا عن الرقابة والتوجهات التي تفرضها القنوات الرسمية والإطارات الحزبية." (زكاغ، 2023، ص. 222) كما تنزع ممارسات النشطاء نحو توظيف أشرطة مصورة تندرج ضمن "الإنترنت التضامني" (Atifi, 2019, p. 109) بما هي وسيلة رقمية جديدة لإبراز الهشاشة في الفضاء العام، وكيفية لخلق التضامن مع الفئات المعوزة، والتعبير عن المظالم من طرف المغاربة". (Ibid., pp. 103-122) كما صار "الإنترنت فضاءً للبوح، ومتنفسًا للفئات التي تعيش في وضعية هشة، مثلما هو الأمر بالنسبة للفئات الحاملة لفيروس فقدان المناعة المكتسبة، حيث تبحث عن خلق روابط عبر الإنترنت، تسمح بتخطي

وضعية الوصم والهشاشة، وتعويض الروابط الاجتماعية القوية التي تنهار بفعل النعوت القدحية التي تلاحق المريض. (Majdoul, 2019)

هكذا تحول الإنترنت إلى ميدان للدراسة، وموضوع للبحث في العلوم الاجتماعية، وهو السياق الذي تروم هذه الدراسة الإسهام فيه؛ من خلال بحث الخطابات والممارسات السوسيورقمية التي تجري في فضاء الفايسبوك، بما هو وسيلة جديدة في إنتاج المعنى، والقيم الاجتماعية والثقافية، وبشكل أكثر ارتباطا بالدفاع عن "الحق في المدينة"[6]. ويعتبر هذا الأخير "أكثر من مجرد حق فرد أو مجموعة في الوصول إلى الموارد الموجودة في المدينة: إنه الحق في تغييرها وإعادة اختراعها لتلائم أهواء قلوبنا بدرجة أكبر، وهو، علاوة على ذلك، حق جمعي أكثر منه حق فردي، بما أن إعادة اختراع المدينة يعتمد حتما على ممارسة قوة جماعية من خلال عمليات التطوير العمراني (urbanisation)" (هارفي، 2017، ص. 30).

2- المنهجية

تعتمد نتائج هذه الدراسة على منهجية كيفية تستند إلى "الاثنوغرافيا الافتراضية". (Hine, 2000) اعتمدت كريستين هاين (Christine Hine) هذا المفهوم باعتباره ممارسة بحثية "تسمح بفهم الإنترنت باعتبارها مساحة ثقافية تتم من خلالها التفاعلات الاجتماعية، وموضوعا ثقافيا يتشكل اجتماعيا ضمن عمليات الإنتاج والاستخدام". (Ibid., p. 14) ولعل ما يميز هذا التمشي المنهجي الإثنوغرافي هو "أن الباحث يكون متموقعًا، على نحو بيني، بين عالمه الاجتماعي الفعلي ونظيره الافتراضي." (قاوقاو، 2019، ص. 94) لذلك اشتغلتُ على تفعيل هذا النهج من خلال المزاوجة بين اهتماماتي وملاحظاتي الموقعية بقضايا مدينة الدار البيضاء، وبين الانغماس خلف شاشة الهاتف في صُلب المجموعة المبحوثة "أنقذوا الدار البيضاء".

يتعلق الأمر بانغماس مُطول ومتقطع في نفس الآن (من سنة 2020 إلى سنة 2023) يعتمد المشاركة والتفاعل (معاينة افتراضية للمحتويات المنشورة؛ وضع رمز "إعجاب" من أجل جعل محتوى المجموعة يبرز لدي سريعا وباستمرار؛ كتابة تعليقات بكثير من الحذر والتحفظ، الغرض منها إثارة مزيد من النقاش بين الأفراد يجعلني أكثر وعيا بتمثلاتهم وتوجهاتهم) وفي نفس الوقت، يراعي تعدد واختلاف الخطابات الرقمية المتداولة، وتفاوت اهتمامات الناشرين والمتفاعلين، ودرجة تقيدهم بأهداف الشبكة الفايسبوكية.

وجدتُ في الانخراط الافتراضي عملا إجرائيا، بدءًا بطلب الانضمام إلى قائمة المجموعة، ثم تتبع المنشورات والتفاعلات، ومشاركة تلك التفاعلات بين الفينة والأخرى (كتابة تعليق؛ إبداء إعجاب) وهو ما سمح بتمييز طبيعة المحتويات المتداولة، ونوعية الخطابات المطروحة، وأساليب التفاعل والتعبير، وأشكال النضال والتضامن والتفاوض. وغيرها من الخلفيات الثقافية، والأصول الاجتماعية، والهواجس النفسية، والمرجعيات السياسية المضمرة في خطاب النشطاء الفايسبوكيين.

قمتُ بالولوج إلى مجموعة "أنقذوا الدار البيضاء" بتوظيف حسابين مختلفين: كان الأول باسمي وهويتي الواضحة؛ ومن خلاله كنت ألاحظ وأعاين طبيعة المنشورات والتعليقات ونوعية الخطابات دون أن أشارك أو أنخرط فعليا. أما الثاني فكان بهوية مجهولة؛ وكان الهدف من ذلك أن أشارك التفاعلات والتعليقات مع أعضاء المجموعة على نطاق واسع ومتواصل، متحررا من كل رقابة ممكنة أو مشاهدةٍ يمكن أن تحد من حريتي في معاينة ومشاركة ما يتم نشره وتداوله.

يعتبر تحليل محتوى بعض النصوص المنشورة والمختارة بناء على معايير[7] محددة، عملا منهجيا أساسيا ومكملا؛ من خلال تحليل مجموعة مستهدفة ومعللة من الخطابات الرقمية والبصرية (تدوينات؛ صور؛ تعليقات؛ أشرطة فيديو) المثيرة لأكثر المشكلات التي تعرفها مدينة الدار البيضاء. تم الاحتفاظ بها باستخدام طريقة أخذ صور من الشاشة (capture d'écran) لكونها في تجدد مستمر، وقابلة للحذف والإضافة.

اعتمدت لهذا الغرض تحليلا وتأويلا للمحتوى الفايسبوكي اعتمادا على منطلقات أساسية مثل العنصر الدلالي، والمنطلق البنيوي التكويني من خلال الجمع بين المؤشر الرمزي للصورة والدلالة الاجتماعية والثقافية، إضافة لرصد تمظهرات الدلالة التصورية في بعدها الاجتماعي والثقافي بالاستناد إلى التصدير الذي يمهّد للمادة البصرية وتعليقات المتفاعلين مع المحتوى البصري.

3- الفايسبوك فضاءً للترافع حول قضايا المدينة

3-1- سياق نشأة مجموعة "أنقذوا الدار البيضاء"

هي شبكة رقمية حضرية نشيطة، تتخذ من الفايسبوك فضاءً عموميا للتفاعل والتقاسم والحوار حول المعضلات والقضايا التي تهم مدينة الدار البيضاء. تأسست هذه "المجموعة المفتوحة" منذ سنة 2013، وتضم عددا من المتصفحين والنشطاء الذين يتزايد عددهم مع مرور الوقت[8]. وتُدير الشبكة الكاتبة منى هاشم، بمساعدة الباحث في الأنثربولوجيا الحضرية حميد شيتاشي.

خصصت جريدة *Fissa3* التي تهتم بالشأن المحلي للدار البيضاء مقالا[9] بمثابة مقابلة مع حميد شيتاشي، تحدث فيها عن سياق ميلاد المجموعة على الفايسبوك. ويعزو ذلك إلى عدد من الأصدقاء الذين يجمعهم التواصل في الشبكات الاجتماعية، والذين انصبت اهتماماتهم، بالخصوص، على الشأن الداخلي لمدينة الدار البيضاء، لا سيما الاختلالات التي تعاني منها بنيويا واجتماعيا وعمرانيا؛ نتيجة عوامل مختلفة من بينها ضعف الحكامة، والتدبير السياسي، مثلما نبه إليه، وانتقده بشدة، الملك محمد السادس[10]، خلال الخطاب الذي ألقاه بتاريخ 11 أكتوبر 2013 ضمن الجلسة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية التاسعة.

يتعلق الأمر بسياق سوسيوسياسي بقدر ما ينبه للمعضلة الحضرية التي تعيشها العاصمة الاقتصادية للبلاد، بقدر ما يرمي بإشارات تهم ضرورة مراجعة أدوار المتدخلين الرسميين، والحاجة إلى فاعلين مدنيين يعيدون صياغة المدينة بشكل يستجيب لتطلعات الناس. اِلتقط الفايسبوكيون الإشارة، لتبادر منى هاشم بتأسيس شبكة رقمية مستقلة تقوم وظيفتها على "الدفاع عن رفاهية المدينة وساكنيها، ورفض أسباب تدهورها، من خلال الإسهام في فضح الاختلالات، وإدانة مختلف المظاهر السيئة التي تستنزف سمعة المدينة، والمشاركة في تقويم السياسات، وإذكاء الوعي الحضري، وتعزيز المواطنة التشاركية، ووضع الجميع أمام مسؤولياتهم." (Hachim, 2023)

يسمح تصفح كثير من المحتويات الرقمية، وتتبع عدد من التعليقات والتفاعلات بالوقوف على مظاهر هشاشة المدينة: بنايات تفتقد لجودة التشييد والتصميم؛ أرصفة مزدحمة؛ ممرات مكتظة يحتلها أرباب المقاهي والمحلات التجارية والمهنية والباعة المتجولون، تدفع الراجلين للمشي وسط الشارع وهم يتسللون بين السيارات والحافلات؛ حاويات للقمامة تفيض

بالنفايات، ومخلفاتها تهدد بمشاكل بيئية وصحية؛ حفر وبرك مائية ومخلفات الأشغال؛ أحداث عنف وعنف مضاد... وغيرها من الشكاوى والمظالم التي تشي بمشاعر الغضب، كما تتوق إلى أمل التغيير.

2-3- معايير المحتوى الرقمي المؤثر

اشتغلتُ على تصنيف المضامين المتداولة على المجموعة الفايسبوكية، والتي تعكس المشكلات التي تشهدها المدينة، وعملتُ على تحديد المحتوى الرقمي العام، والأهم، والأكثر إثارة للنقاش، وتمييزه عن المحتويات الخاصة، والعابرة، والأقل أهمية وفقا للمعايير الآتية:

- **المشترك الحضري**: يتعلق الأمر بمجمل قضايا المدينة؛ مصالحها، وهموم ساكنتها، وذاكرتها، وتحدياتها، وعلاقاتها، ورهاناتها. تصير المجموعة الفايسبوكية هنا، فسحة لكشف ما يجمع المنتمين للدار البيضاء، وانشغالاتهم اليومية التي يتم نقلها إلى الفضاء الافتراضي العام.

- **مستوى التفاعل والاستقطاب**: يتفاوت مستوى التفاعل الرقمي مع ما يتم نشره من مواضيع، ويسمح نوع التفاعل برصد أهمية القضايا الحضرية بالنسبة للمواطنين. يمكن أن يكون التفاعل كميا أو نوعيا:

أقصد **بالتفاعل الكمي** عدد التعليقات والمشاركات مع المنشور، ويسمح تتبع المحتوى الرقمي بالوقوف على منشورات مصحوبة بعشرات وأحيانا مئات التعليقات في حدود ساعات قليلة من تداوله، بينما تفتقد محتويات أخرى للتجاوب الجماعي؛ مما يعطي مؤشرا حول نوعية الموضوع ومدى تأثيره على المواطنين.

إن المنشورات التي يصاحبها زخم من التعليقات عادة ما ترتبط بمعضلات اجتماعية واقتصادية وبيئية وأخلاقية مثيرة من قبيل: الوضعية المتردية للأرصفة والشوارع؛ انتشار النفايات؛ مشاكل النقل العمومي؛ احتلال الفضاء العمومي والأنشطة العشوائية وغير القانونية؛ المضايقات والسلوكيات غير المتحضرة وغياب الأمن الاجتماعي...

أما **التفاعل النوعي**، فلا ينصرف لعدد المتتبعين والمتفاعلين، بل إلى طبيعة التعبيرات الانفعالية (les émoticônes) ومحتوى التعليقات وقدرتها على خلق نقاش عمومي[9]حول الموضوع، والذي يمكنه أن يأخذ إمكانية الامتداد من نقاش في المواقع إلى نقاش في الواقع؛ بحيث يستهدف النشطاء جعل عملية الاتصال سريعة وفعالة من خلال المراهنة على الانتشار الواسع للمعلومة في صفوف الأعضاء، وهي الوظيفة التي يقوم هؤلاء بتيسيرها وتسريعها عبر عملية التقاسم (Share) أو كتابة تعليق على المجموعة يتيح للأصدقاء تتبع الخبر والإسهام في بلوغه الحدود القصوى من الانتشار، وجعله يتخذ صيغة احتجاج أو تضامن أو تحريك جهات مسؤولة للتدخل.

- **عامل التكرار**: يسمح تتبع المنشورات الفايسبوكية بالوقوف على عينة من القضايا التي يتوالى تكرارها وتقاسمها والتفاعل معها بوتيرة مستمرة وشديدة، تفيد وجود منسوب عالٍ من الشحنة الرمزية لنوعية الموضوعات، مما يجعلنا نصنفها قضيةً عمومية[10] وليس مجرد مسألة شخصية أو تدوينة عابرة. يفيد التكرار هنا، تعيين أكثر الوقائع انتشارا، وأكثرها أهمية لدى قطاع واسع من الناس.

- **السياق والمناسبة**: السياق على مواقع التواصل الاجتماعي هو الذي ينتج المحتوى الحامل للمعنى. الكثير من الخطابات الرقمية لا تنفصل عن واقع المدينة وهموم المدينيين، وهي محاولات لنقل ما يجري في الواقع نحو الافتراضي، في أفق جعله قضايا للنقاش العمومي.

- **سلطة الناشر:** يختلف التفاعل مع المضمون الرقمي باختلاف هوية من ينشره. الحديث هنا عن قادة الرأي على مواقع التواصل الاجتماعي، والمؤثرون الجدد الذين يصنعون المحتوى الرقمي، انطلاقا مما يتمتعون به من رساميل رمزية، تتيح لهم الاستقطاب وإثارة انتباه الفاعل الاجتماعي. ويمكن التمثيل لهؤلاء بمؤسِسة المجموعة والمشرفة على إدارتها: منى هاشم، إلى جانب المدير المشترك: حميد شيتاشني، فضلا عن شخصيات أخرى تضم أساتذة جامعيين، ومحامين، وسياسيين، يبادر بعضهم أحيانا بإثارة قضايا المدينة، لتقود المحتويات التي يتقاسمونها إلى حشد تفاعل واسع من طرف المتصفحين، وخلق متابعة مكثفة.

4- و اقع المدينة من خلال خطاب النشطاء الرقميين

تعبر الخطابات الرقمية المنشورة على الشبكة الفايسبوكية عن واقع حضري معاش ومرفوض، وآخر مأمول ومرغوب فيه. سأقدم هنا دراسةً لعينة من الصور والمنشورات والتفاعلات المعبرة عن المعضلات الحضرية المعروضة، وكيفيات التعبير عنها، وأفق ذلك التعبير من طرف النشطاء الرقميين:

4-1- مشكلات المواطنين في المدينة

لوحة 1: جانب من المشكلات المعاشة في المدينة

صورة 1: مشهد لسوق عشوائي بالفضاء السكني لحي سيدي مومن. (مأخوذ بتاريخ تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

صورة 2: ركن السيارات فوق رصيف الراجلين في شوارع المدينة. (مأخوذ بتاريخ تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
ISSN: 2750-6142

صورة 3: قطيع من الماشية يرعى في مساحات خضراء بجانب عمارات (مأخوذ بتاريخ تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

صورة 4: سيارات تتعرض للتهشيم ومحاولة سرقة بحي رياض البرنوصي. (مأخوذ بتاريخ حزيران/ يونيو 2021)

جاءت الصورة 1 في صيغة صورة وثائقية إخبارية، تم التقديم لها بتصدير دُوِّن باللغة الفرنسية، يُحمل المسؤولية للمتدخلين في الشأن المحلي للمدينة وما نتج عنه من حالة الفوضى؛ حيث استغلال الملك العمومي، وتشويه المنظر العام للفضاء المحيط بالمجال السكني لحي سيدي مومن. تصرح الصورة بشكل واضح بظاهرة أضحت جزءا شبه مألوف في المدن المغربية، وهو انتشار الأسواق العشوائية لبيع الخضر والفواكه، دون مراعاة التهيئة العمرانية وجمالية الحي. جاء إطار الصورة نصفيا، إذ اِلتقطت من زاوية أعلى في النهار، مما منح الصورة إضاءة عاكسة، وتسمح برصد طبيعة الحي الذي يجمع بين مظاهر التمدن والتحضر (بنيات؛ شوارع مبلطة) ومظاهر الترييف (خيام؛ عربات مجرورة لبيع الخضر؛ انتشار الأزبال). وتخوض الصورة في رصد عناصر التفاوت الطبقي، وافتقاد فئة عريضة من هؤلاء الباعة لمشاريع مهيكلة تمكن من حفظ كرامتهم المهنية، واستفادتهم الدائمة من نشاطهم الاقتصادي، هذا الذي يبدو أنه على حساب التنظيم الحضاري للمدينة، مما يطرح جدوى الخطط الموضوعة لهيكلة وإدماج المهن الحرة في باقي النسيج الاقتصادي.

المحتوى (صور 2) هو مجموعة من الصور المركبة التي ترصد ظاهرة مرتبطة بحركة التمدين التي يشهدها المغرب، والدار البيضاء بشكل خاص، والمتعلقة بالاستعمال المكثف لوسائل نقل حديثة (السيارات نموذجا)، وهذه الصور المركبة بمثابة منظومة صور متراكبة إخبارية توثيقية، اِلتُقطت من منظور قريب؛ حيث اعتمد ملتقط الصورة على مواقع وزوايا مختلفة لنقل الظاهرة موضوع الصورة، من خلال إطار نصفي وكلي. أُرفِقت الصورة بتقديم بصيغة المتكلم (أنا) يدلل على المعاناة اليومية لقطاع من الأشخاص الذين يجدون صعوبة في التنقل من مكان لآخر بسبب احتلال الرصيف، واستغلاله لركن السيارات دون أن يلاحظ تدخل الجهات المختصة لردع المسألة ووضع حد لها. وتحيل هذه الصور المركبة على معطيات اجتماعية وفردية، لعل أهمها: سيادة التفكير الفرداني بصيغة المصلحة الخاصة؛ فراكنوا العربات لم يأخذوا بعين الاعتبار حاجة الراجلين لممرات تحميهم من حوادث المرور، كما تؤشر على علاقة تملك المرفق العمومي، واعتباره تحت تصرف مستعمله، بدلا من كونه حقا مشتركا.

تدخل الصورة 3 ضمن نمط الصور الفوتوغرافية الإخبارية التوثيقية التي تسلط الضوء على مظهر آخر من مظاهر تريف الدار البيضاء، واستغلال المساحات الخضراء للرعي. تحولت هذه النقطة المجالية من فضاءاتٍ للترويح عن النفس إلى فضاءات جالبة للضيق والاشمئزاز؛ حيث يتم استغال المساحة التي تتموقع أمام بناية سكنية من أجل الرعي. اختار مُلتقط الصورة زاوية من أعلى تدلل على عمق أزمة العاصمة الاقتصادية؛ حيث تصطف عمارات حديثة التصميم، بممراتها ومناطقها الخضراء، جنب قطيع من الماعز والأبقار، ولم يجد صاحب الصورة سوى تصديرا بصيغة السخرية مرفق ومبين لمحتوى الصورة، والذي يفسح المجال لسياق تتقاطع فيه مجموعة من الدلالات والقيم أبرزها:

أن مدينة الدار البيضاء وبعض أحيائها - رغم المجهودات الرسمية في مجال التعمير والسكن - لا زالت لم تتخلص من إرث الماضي الذي عرف النشاط الزراعي مثل تربية الماشية؛ وأن هذه السلوكيات تقدم صورة حول طبيعة النشاط الاقتصادي الذي لم يرق بعد إلى مستوى التطور العلمي والمجالي؛ فضلا عن تكريس العشوائية وغياب النشاط الاقتصادي المهيكل، ونظرة الأشخاص للفضاء باعتباره عنصرا مُدرا للدخل فقط، وليس جزءا من المعيش اليومي من حيث الوظيفة الاجتماعية والمجالية.

يعكس المحتوى (الصورة 4) مشهدا من انعدام الأمن تعبر عنه سلوكيات منحرفة تستهدف تخريب السيارات، وسرقتها من طرف أشخاص مجهولين ومتعاطين للمخدرات (كما جاء في التعليقات المصاحبة) يتسببون في حالات من الترويع والهلع، خاصة في الفترات الليلية.

تخوض محتويات أخرى كثيرة ومشابهة في معضلات مجالية واجتماعية متعددة من قبيل: وجود اصطبلات للدواب؛ اكتساح الأزبال للفضاء؛ حالات عنف وترويع للمارة؛ حفر وحواجز تعوق حركة السير؛ سيارات مركونة ومهملة؛ تحول بعض الفضاءات إلى وكر للمشردين والمختلين عقليا؛ مظاهر باعثة على الضوضاء... تمثل كل هذه الاختلالات الحضرية عاملا محركا للسخط الرقمي، ودافعا لتنبيه الفاعل المسؤول وإرغامه على التدخل لإيجاد حلول عاجلة. وتأتي مجموعة من العناصر لتلعب دورا مهما في تغذية التعبئة الاجتماعية للشبكات السوسيورقمية، ومنها ما أوردته دراسة دومنيك بولي التي ركزت على ثلاثة عناصر: العدد، وخطاب الخبرة، واللجوء إلى الفضيحة. (Boullier, 2013, pp. 38-40)

إن تضخيم التعبئة الاجتماعية حول "الفضائح" التي تشهدها المدينة، يمثل قوة دافعة لامتداد خطاب السخط وسرعة اتساعه، بما يضمن للشبكة الاجتماعية الوصول إلى الفاعل قصد إحراجه وإرغامه على القيام بواجبه. لذلك، وجدنا أن عينةً مهمة من النشطاء يربطون جانبا من الإنجازات العملية بتحريك المسؤولين المباشرين للتدخل لحل المشكلات؛ كما يأخذ هذا المسعى بناء وعي المواطن، وتشكيل رأي عام، يستند إلى كيفيةٍ في المرافعة والتفاوض، انتهجتها إدارة الشبكة حينما بادرت يوم 9 يناير 2021 بتوجيه الدعوة لعموم الأعضاء والنشطاء إلى وضع مختلف الشهادات والمشاهد والأشرطة والمحتويات التي تكشف معاناة المواطنين، ومشكلاتهم، ومظالمهم، ومطالبهم، وشكاويهم بُغية جمعها وتوثيقها في صيغة كتاب للترافع وممارسة الحق في الدفاع عن المدينة.

تقاسم النشطاء عددا كبيرا من المنشورات والصور والمحتويات التكنوغرافية، وتولت المشرفة على الشبكة عملية تجميعها، وتصنيفها، والتقديم لها، وإخراجها في صيغة كتاب خلال شهر أبريل 2021 في نسخة إلكترونية، وجرى طبعه في نسخة ورقية شهر يناير 2023.

2-4- الاحتجاج والتفاوض: من التعبيرات إلى الإنجازات

نكشف في هذا العنصر عينة من المحتويات الرقمية التي تعكس كيفيات وحدود التفاعل مع خطاب الفايسبوكيين من طرف السلطات المحلية:

لوحة 2: تفاعل المتدخلين مع شكاوى الفايسبوكيين

صورة 5: المنشور الذي رفعه أحد نشطاء المجموعة ويبين تحول الشارع إلى مكب للنفايات. (12 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020).

صورة 6: تفاعل المتدخلين مع أحد المنشورات بإزالة الأزبال المتراكمة بزاوية شارع 11 يناير. (16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020).

ISSN: 2750-6142
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

صورة 7: تفاعل السلطات مع أحد المنشورات، وإزالة المطب المعرقل لحركة السير. (ماخوذ بتاريخ تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

صورة 8: مشهد من تفاعل السلطات وإزالة سيارة مهملة في حي البطحاء. (مأخوذ بتاريخ تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

تندرج صور اللوحة الثانية ضمن الصور الفوتوغرافية النفعية الراصدة لتجاوب السلطات المحلية مع مطالب النشطاء. يبدو من خلال الصورة 5 انتشار النفايات على مساحة الرصيف التي يستعملها الراجلون، كما تمتد لتشغل مساحة على الطريق. يظهر المكان وكأنه مطرح للنفايات، رغم أن الموقع هو شارع عام قبالة أحياء سكنية، وعلى الجدار تظهر آثار الإحراق وبقايا النفايات المتراكمة، إلى جانب لوحة إشهارية ملصقة على الجدار. هذه المتناقضات التي تجتمع في هذه الزاوية تفسح المجال للاستياء الذي تعبر عنه مجموعة من التعليقات:

"يَا حسرة على شارع 11 يناير وسينما كوليزي ومقهى cotedazure في السبعينات الثمانينات بعد وفاة صاحب المقهى اصبحت خرابة... في حين اقبرت سينما نهائيا... زمن كان أغلب سكان شارع من اليهود وغيرهم من الجالية الاوربية قبل زحف البداوة على المنطقة".

« c'est toujours comme ça. Et encore aujourd hui on voit moins. Parfois il y a un monticule d ordures ».

أبدى المعنيون بقطاع النظافة (كما تُظهر الصورة 6) تجاوبا مع المنشور بإزالة النفايات، وتنظيف الفضاء.

جاءت الصورة 7 أيضا بصيغة المقارنة؛ فهي صورة بوضعيتين مختلفتين قبل / بعد. فالمرحلة الأولى تقدم وضعية غير مريحة بالنسبة للراجلين وأصحاب المركبات. احتوى الشارع على حواجز إسمنتية ناتجة عن الإصلاحات التي قامت بها إحدى شركات الكهرباء، فأصبح هذا الممر محتويا لحواجز أدت إلى عرقلة السير. في حين، تحمل المرحلة الثانية صيغة شكر وتقدير للأطراف التي سهرت على إزالة هذه الحواجز التي تفتقد للمصادقة والتصميم، والتي أعادت الشارع إلى وضعه الطبيعي. وتقدم

هذه الصورة المركبة تصورا لما يجب أن يكون عليه السلوك الحضري؛ إذ يتوقف على احترام الهندسة العامة للشوارع والفضاءات العامة المرفقة بعلامات التشوير.

أما الصورة 8 فهي مركبة من ثلاث صور بارزة، ترصد ظاهرةً بالمجال الحضري والعمراني بحي البطحاء، وهي ظاهرة السيارات المركونة بشكل عشوائي. والصور ناطقة بهذه الاختلالات: احتلال الملك العمومي، وعرقلة السير، ووجود نفايات في المكان... كما أن الصورة عكس هذا المعطى، ناطقة بجانب إيجابي يظهر في تفاعل السلطات المحلية مع المشكل، والتكلف بإزالة السيارة من هذا المكان، وإصلاح العمود الكهربائي. مما منح للمكان -كما تقول التفاعلات- صورة أكثر جمالية وانسجاما واحتراما لعناصر التهيئة المجالية للحي.

كما تحقق تجاوب السلطات المحلية مع نداءات أخرى، اكتفيت بالتمثيل لها بالنماذج الواردة في اللوحة الثانية. وهي إذ تؤسس لرؤية في الارتباط والتكتل، فإنها تطمح أن تكون أكثر نجاعة في الضغط، والنضال، والتغيير، دفاعا عن نموذج المدينة المواطنة.

تقود تجربة النضال الرقمي من أجل المدينة إلى صياغة خطاب يبحث عن الشرعية ضد أوضاع اجتماعية وسياسية مخيبة للآمال، وتعتمد في أدوات اشتغالها على مسارات تعبئة سوسيورقمية، وتقوم على آليات من قبيل:

- الكشف والفضح: ويحضر بوصفه استراتيجية لممارسة الضغط على المتسبب أو المسؤول على إحداث مشكل معين، ويروم تعريف الناس بالواقعة لإثارة غيرتهم وحَنَقهم لمهاجمة الفاعل رمزيا، وإدانة ما يبدو أنه معضلة حضرية مرفوضة.
- السخط: شكل تعبيري يشي بالامتعاض والغضب، ومصدر لإذكاء الوعي بجدوى التوافق الجماعي. يحضر هذا الأسلوب باعتباره ممارسة للتنديد والاحتجاج على وضع اجتماعي قائم يستلزم التغيير.
- التضامن: وهو تعبير عن التعاطف والتلاحم بين مكونات مجتمع له هموم مشتركة. ينشأ التضامن بوصفه ممارسة تقصد مناصرة أشخاص أو فئات اجتماعية هشة أو ضحية سياق متوتر ومأزوم.
- السخرية: أسلوبٌ ينهل من طاقة لغوية ورمزية ذات طابع فكاهي وهزلي، لكنه منسول من مواقف فكرية، ومشاعر عاطفية، واتجاهات ثقافية، وهموم اجتماعية. ويتم استدعاء السخرية طريقةً في التهكم على وضع غير مقبول، وكيفيةً في إظهار المبالغة في تخطي كل الحدود المعقولة والمقبولة.

إن التأسيس لهذه العلاقات المنتجة للتغيير، يراهن على الإجماع العمومي، ولأن بلورة هذا الأخير ميدانيا عسير وغير مأمون، نجد جهود النشطاء تتجه إلى توظيف المجالات الافتراضية قصد مخاطبة غيرة الناس، ومحاولة إيقاظ وعيهم بجدوى المشاركة الجماعية في خلق مساحة افتراضية لممارسة نوع من الضغط رمزيا وتوسيع دائرة المطالبين بالتغيير.

إن نشطاء "أنقذوا الدار البيضاء" لا يصلون إلى الشوارع باعتبارهم حركة غاضبة لها امتداد في الميادين، وخلق ما يسميه كاستلز "مساحة الاستقلالية" باعتبارها فضاء ثالثا يشكل هجينا من الفضاء الإلكتروني والحيز الحضري. تلك المساحة التي لا يمكن ممارستها بوصفها قوةً تحويلية إلا بوساطة تحدي النظام المؤسسي الصارم من طريق المطالبة بمساحة من المدينة لمواطنيها." (كاستلز، 2017، ص. 250) لذلك، تتجه استراتيجية النشطاء إلى تكثيف خطابٍ يقوم على الصور والأشرطة والمنشورات ضمن مساحة الفضاء الخاص والافتراضي العام. ويمكن تفسير ذلك بعاملين أساسيين:

أما الأول، فيمكن ربطه بنوع من الممارسة السياسية التي تعبر عن نفسها بشكل ارتجالي ومناسباتي لا يحضر بمنطق العمل المنظم الذي توجهه خلفية سياسية، ولا يتأسس على مشروع قائم وواضح. "فالحركات الاجتماعية الشبكية [...] نادرا ما تكون لها برامج [...] وهي لديها مطالب متعددة: في معظم الوقت، كلها مطالب ممكنة من مواطنين يتوقون إلى بت أحوال حياتهم" (المرجع نفسه، ص. 248–254) وهو ما يبدو جليا على مستوى طبيعة المطالب التي تتوزع على معضلات حضرية متعددة، تظهر أحيانا وتتوارى أخرى، وتُخلف ردودا وانفعالات مضادة تفتقد لإطارٍ مهيكل، ورؤية مؤسسة قادرة على المضي بخطى واضحة وأهداف معلنة.

أما الثاني، فيرجع إلى تحول في الأشكال الاحتجاجية بالمغرب؛ وهو تحولٌ يلامس جوهر العلاقة بين المجتمع والدولة، والتي ارتبطت بتاريخ من التوتر والصراع، انتهى إلى تراجع دور مؤسسات الوساطة الاجتماعية. "ففي مدينةٍ كبيرة مثل الدار البيضاء، حيث تتعدد المشاكل المرتبطة بالحياة اليومية المدينية، لا نجد غير النزر اليسير من جمعيات (أو لجان) الأحياء، وجمعيات المكترين، أو ضحايا الأخطاء الطبية، أو ضحايا حركة السير... ونفس الشيء ينطبق على الجمعيات المتعلقة بمستعملي النقل العمومي والمستشفيات والإدارات وباقي المصالح العمومية" (رشيق، 2021، ص. 224). يُفسح هذا الوضع لبروز صيغٍ جديدة للاحتجاج تمثلت في امتداد الحركات الاجتماعية والحراك الحضري إلى الفضاء الافتراضي بحثا عن تكتلات بديلة.

نفهم من خلال العاملين السابقين، عجزا في البنية، في مقابل انبثاق دور الفاعل. أعبر عن البنية بالأشكال الاجتماعية (الأحزاب، والتنظيمات النقابية) التي شكلت تاريخيا إطارا مرجعيا في توجيه مطالب الأفراد وسلوكياتهم، وصياغة اتجاهاتهم الجماعية. أما الفاعل، فيوحي إلى طبيعة التحول الذي طرأ على المجتمعات المعاصرة، خاصة في ظل انبثاق الثورة الرقمية واتساع نطاق استخدامها؛ إذ تم الانتقال إلى مجتمع الفاعلين الذي يمثل فيه حضور الفرد الفاعل مهما في بناء السياسة الاجتماعية للمدينة.

إن الفاعل هنا هو جموع المواطنين الحضريين الذين يتأسس لديهم وعيٌ بحقوقهم، ويدركون أن عليهم واجبا سياسيا يتمثل في مشاركتهم الفاعلة في الفضاء العام. ومنه، فحتى في الجانب الذي تبدو فيه مبادراتهم ارتجالية وعفوية، أو تستهدف مطالب جزئية وآنية، فهي في مسعى للبحث عن إطار حضري قوي ومؤثر تشكل فيه الهوية الحضرية خلفية ثقافية ووجدانية مشتركة.

لا يقوم مسعى الفاعل على تجاوز مأزق المؤسسات فحسب، بل يروم الحضور بأشكال تعبيرية مختلفة، ويتجه للتكتل ضمن شبكات جديدة تعزز الميول نحو ديمقراطية بديلة، تتخذ من الفضاءات الافتراضية إقامة لها، ومنبرا لنقاشاتها ومقترحاتها، "فمنذ تسعينيات القرن الماضي وبعض الصيغ التعبيرية تتوالى، مثل "الديمقراطية الإلكترونية" و"الديمقراطية الافتراضية"، استنادا إلى ما وصلت إليه التكنولوجيات الرقمية من تقدم وازدهار، فأضفت حداثة إلى الحلم بمجتمع خال من الوسطاء يصبح فيه المواطنون المستنيرون أكثر اطلاعا على مجريات الأمور وناشطين" (ميغري، 2018، ص. 574).

لا يتعلق الأمر بتحول قائم ومؤكد يجعلنا نمتدح عصر الشبكات، وننظر إليه بديلا ناجحا في قيام مجتمع الأفراد الفاعلين، وميلاد الفردانية الشبكية على النحو الذي يفيد العمل بالديمقراطية الإلكترونية، "فالتقنيات لا تمحو الأقاليم ولا تاريخ العلاقات بين المواطنين" (المرجع نفسه، ص. 575) لكن يمكن أن نتحدث عن تجربة تختبر بداياتها وتفيد من قوة وسائل الاتصال الحديثة في إنتاج القوة وإعادة توزيعها؛ "من خلال تحويل الناس العاديين إلى مصادر فاعلة ومؤثرة في إنتاج الحقيقة السياسية والإعلامية، والانتقال من الاتصال العمودي ذي الاتجاه الواحد إلى الاتصال الأفقي، وبالتالي الانتقال من الفعل

السياسي العمودي ذي الاتجاه الواحد إلى الفعل السياسي الأفقي القائم على مبدأ التشارك الشبكي." (الجموسي، 2016، ص. 172).

تتجلى القوة التأثيرية لمجموعة "أنقذوا الدار البيضاء" في قيادتها وإدارتها التي تؤطرها الفئة المثقفة: منى هاشم وحميد شيتاشني. تتيح هذه الإدارة تفويت جانب من الارتجالية على مبادرات المجموعة، وجعلها أكثر انضباطا للفعل الاجتماعي المؤثر؛ وهو ما يظهر من خلال التدخلات والتوجيهات التي كانت تؤطرها مؤسِسة المجموعة لإذكاء الجهود المواطِنة قصد إيصال أصواتها، وفي كثير من الأحيان، لإرغام المسؤولين على التدخل، والتفاعل الايجابي مع مطالب النشطاء. ويمكن أن أستحضر هنا، دعوة عمدة المدينة "نبيلة الرميلي" لممثلي المجموعة قصد عقد اجتماع لمناقشة الشكاوى والمقترحات التي يترافع حولها المواطنون[11]. ومن الاقتراحات التي انتهى إليها اللقاء: تعيين مجموعة "أنقذوا الدار البيضاء" عضوا نشيطا في لجنة دائمة، وفي هيئة المساواة وتكافؤ الفرص.

تفتح المؤسسة السياسية - متمثلة في مجلس المدينة- قوسا للاعتراف بالجهود المواطنة التي يمثلها النشطاء الرقميون، ويمثل هذا الاعتراف إصغاءً - نسبيا - للتجربة الناشئة في مجال النضال الرقمي، وللمبادرات الموازية التي تدعمها جهود النشطاء. يتعلق الأمر بمحاولة تصحيح صلابة وانغلاق النموذج السياسي الرسمي في التسيير والتدبير، مقابل الانفتاح على منظومة اجتماعية قوامها النشطاء الرقميون. وهو مؤشر يعبر عن نزوعٍ نحو إمكانٍ بديل يحاول فيه الحقل الاجتماعي، بتعبيراته الرقمية، افتكاك مساحة من السلطة المدنية، ومشاركة الطرف السياسي التفكير في سياسة المدينة؛ وذلك في محاولةٍ للتأسيس لجيل من الديمقراطية الناشئة عبر الإنترنت، تلك التي اصطلح عليها الجموسي: "ديمقراطية النضال والديمقراطية الناشطة وديمقراطية الآخرين." (الجموسي، 2016، ص. 179).

3-4- الشبكة الفايسبوكية و انحسار ضمانات التنظيم والاستمرارية

لابد من الإشارة إلى أن عينة من المحتويات الرقمية المُعبَّر عنها من طرف نشطاء "أنقذوا الدار البيضاء" تعتبر "ردود فعل" لوقائع أو ممارسات اجتماعية طارئة، تدفع إلى تصنيفها مقترحات مصاغة في سياق متوتر وليس في سياق هادئ. يتعلق الأمر بمجموعةِ شكاوى ومطالب واحتياجات مؤقتة وعابرة تستجيب لمصلحة ناشئة أو ظرفية طارئة، كما أنها قد تبدأ وتنتهي ببداية ونهاية الحادث/ السبب، أو بقيام حادث أكثر شدا للانتباه. تظل تلك المحتويات محكومة بانفعالات مجتمعية، ومُفتقدة لضمانات تسمح بالاستمرارية في التنظيم والارتباط والنضال.

لاحظتُ تراجع التفاعل داخل المجموعة منذ أواخر سنة 2023 سواء من حيث المنشورات وعدد المتابعين لها، أو من حيث التعليقات ونوعيتها. فالمجموعة التي كانت تخلق نقاشًا افتراضيا، ومواكبةً يومية للقضايا الحضرية التي تشهدها المدينة لم تعد تشهد نفس الزخم من الاهتمام والمشاركة. وهو ما يدعو إلى إعادة التفكير في أدوار المجموعة راهنًا، ومدى استمرارية تأثيرها في قضايا المدينة. كما يطرح الحاجة إلى مساءلة قدرة الشبكات الرقمية عموما ودورها في تفعيل المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية بنَفَسٍ متواصل، وتنظيم مهيكل يضعنا في صلب مجتمعات افتراضية نشيطة تخدم الوعي الحضري، وتؤسس لمواطَنةٍ متصلة تعمل من أجل الدفاع عن الحق في المدينة.

5- خلاصة

استخلصت من عملية تصنيف طبيعة المحتويات والخطابات الرقمية المعبّر عنها من طرف النشطاء الرقميين، توجها نحو إثارة قضايا ذات الصلة بمجال القيم الايكولوجية، والجمالية، والاجتماعية، والثقافية، والتاريخية للمدينة. فهي تبحث عن مطالب ذات حمولة قيمية تتحقق في الإصلاح، ومواكبة السياسات وتصحيحها، والجودة في تنزيل المشاريع، ومراعاة الجاذبية في تصميم المدينة. وهي غير مُوجهة للجهات السياسية وحدها؛ بل تستهدف المؤسسات الحضرية المختلفة، وساكنة المدينة بمختلف أطيافها وانحداراتها.

يمثل المسار الذي تشقه الشبكات السوسيورقمية ("أنقذوا الدار البيضاء" نموذجا) مسارا للاعتراف بالهوامش، والقوى الاجتماعية الناشئة، والأصوات المُبعدة. كما يمثل ذلك وعيا "بالمواطنة المتصلة" التي توظف سلطة المجالات الافتراضية لتنسيق الحملات، ولفت الانتباه، وصناعة التفاوض، وتعبئة الإمكانات للتفاوض حول الشأن العمومي.

ورغم ما يمكن أن يميز سلطة الهامش القادم من الرقمي من حراك ذو طابع مؤقت، أحيانا، أو انفعالي وارتجالي، أحيانا أخرى، إلا أنه محكوم بمنطق التجديد، والتشبيك، وتنشيط الروابط الضعيفة، والتفاعل مع المستجدات، وتأجيج العواطف، والقدرة على صناعة كتلة تاريخية تكتسب أدواتها الترافعية، وبنيتها النفسية والوجودية والثقافية والاجتماعية، وتتيح اتصال الشرائح المكونة لها، ليس على نطاقٍ محلي وحسب، بل على امتداد هذا الفضاء الافتراضي الكوني.

يتأسس المحلي على قاعدة الكوني في حالة الشبكات الرقمية، ويرى النشطاء إمكانيةً للتضامن الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي المحلي في تسخير الإمكانات العابرة للحدود، وتطويع القدرات التي يمنحها التدفق والتشبيك. يتجلى هذا البعد الكوني في حالة "أنقذوا الدار البيضاء" من خلال خاصية المجموعة المفتوحة (open group) والتي يمكن لكل شخص الانضمام إليها، ومشاركة محتوياتها والتفاعل مع خطاباتها، فضلا عن خاصية التقاسم (share) والتي تسمح لكافة المتصفحين بمشاركة المحتوى الذي يمكن أن يبلغ المستخدمين بصرف النظر عن أماكن تواجدهم. وما يزكي، أيضا، هذا الميل نحو الانفتاح على الكوني، هو ارتباط اسم المجموعة (Save Casablanca) بأكثر اللغات عالميةً وتداولًا وهي اللغة الانجليزية.

تساعدنا الممارسات السوسيورقمية للنشطاء على إدراك وجه الصراع القائم بين السلطة الاجتماعية والسلطة السياسية؛ أي بين مساحة الفاعل الاجتماعي الجديد الذي يوظف تقنيات الرقمنة في تعبئة أدواره، ويتطلع أن يصير شريكا أساسيا في صناعة السياسات الاجتماعية والتنموية داخل المدينة، وبين مساحة السياسي ووظائفه التي يطالها النقد والتصحيح. غير أن هذا الصراع، يميل في عدد من المرات، ليتخذ صيغا من التوافق والتفاعل؛ تلك التي تُيسرها تقنيات الاتصال الرقمي التي غدت مساحاتٍ للتناظر بين مختلف الحساسيات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

تستمد الشبكة الفايسبوكية قوتها من إدارتها ذات السلطة الفكرية. فهي بمثابة جسرٍ بين مجتمع حضري غير مهيكل، لكنه يقظ وحيوي، وبين الدولة متمثلةً في المؤسسات السياسية والأمنية. يتعلق الأمر بتتبع ومواكبة أصوات البيضاويين عبر مجموعة "أنقذوا الدار البيضاء" وإيصالها للرأي العام؛ سواء من خلال منشورات تجد تفاعلا وتقاسما واسعا، أو من خلال مبادرة إخراج "كتاب أسود لمدينة بيضاء"، أو من خلال الحوارات الاعلامية في الجرائد، والقنوات التلفزيونية الرسمية، في محاولةٍ للدفاع عن المدينة، والحق في عيشها بكرامة وعدالة وسعادة.

الهوامش:

1- تعبيرٌ عن كيانات بشرية وتجمعات اجتماعية تربطها انتماءات مشتركة وتسعى لتبادل المعلومات والمواقف والخبرات بالاعتماد على تقنيات الاتصال الافتراضي. وتُعتبر هذه الجماعات وليدة "المجتمع الافتراضي"؛ هذا المفهوم الذي استخدمه هاورد راينغولد (Howard Rheingold) سنة 1993 وعنون به أحد مؤلفاته:

The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier

2- رؤية تنموية (2015-2020) كانت تروم تجهيز مرافق المدينة بالخدمات التكنولوجية والتواصلية، ومدها بالشبكات المعلوماتية الجديدة، قصد إيجاد حلول لمشاكل الأمن والصحة والبيئة وجودة الحياة عموما، لتصير في المستقبل نموذجا ايكولوجيا، أقل استهلاكا للطاقة، وأقل إضرارا بالمجال والإنسان. لا تزال رؤية هذا المشروع مستمرة من خلال تنظيم تظاهرات علمية (بلغت نسختها الثامنة سنة 2024) لتبادل الخبرات، وملتقيات موجهة للمهنيين والشركات لكي تناقش وتقترح التجارب والحلول التي يمكن أن تستفيد منها المدينة في قطاعات أساسية منها: استخدام التكنولوجيا من أجل تنمية قطاع النقل والأمن العمومي وتدبير قطاع النظافة...

3- يمكن الحديث، على سبيل المثال، عن برامج استهدفت الارتقاء بمجالات الثقافة والترفيه والرياضة (المسرح الكبير للدار البيضاء، إعادة تهيئة حديقة الحيوانات عين السبع...) فضلا عن تأهيل البيئة والفضاءات الخضراء (حديقة الجامعة العربية، غابة بوسكورة مرشيش) إلى جانب تنمية البنيات التحتية (نفق الموحدين، تأهيل الطرق...) وإعادة تأهيل التراث (السوق المركزي، قبة الكرة الأرضية...). أنظر: https://www.casa-amenagement.ma/ar/nos-projets

4- تُحدد الباحثة هذا المفهوم باعتباره "إنتاج سميائي متعدد، يربط بين النص والصورة في مركب متعدد الوسائط ينشأ من الإنترنت، ويتم إنتاجه بواسطة الأدوات والعمليات التكنولوجية ويدخل في معايير الخطاب الرقمي الأصلي" (Paveau, 2019)

5- مثلما هو الشأن بالنسبة للمجموعات والأفراد المتواجدين في سياقات الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية والصحية. يمكن العودة في هذا الشأن إلى دراسات من قبيل:

6- استخدم هنري لوفيفر هذا المفهوم خلال الستينات من القرن العشرين، لرفض وضعية المدينة وقد استلبت الناس وسُلبت منهم، بفعل الآلة الرأسمالية التي رأت في المدينة وسيلة للتخلص من رأس المال المتراكم، لتقود إلى نمو حضري مشوه؛ لا يراعي العواقب الاجتماعية والبيئية والسياسية. يعد المفهوم صرخة غضب ونداء في الوقت نفسه؛ فقد كانت الصرخة ردا على الألم الوجودي من أزمة مدمرة تجتاح الحياة اليومية للمدينة، والنداء كان أمرا للنظر بوضوح لهذه الأزمة ومواجهتها، وخلق حياة حضرية بديلة خارج فوضى العولمة المذرية. يُنظر: (هارفي، 2017، ص. 16-23).

7- أدرجت هذه المعايير ضمن الصفحات اللاحقة بعنوان: معايير المحتوى الرقمي المؤثر.

8- وصل عدد المنخرطين أو المتابعين للمجموعة إلى غاية 18-11-2020: 223779 كما وصل العدد بعد مرور سنتين، أي بتاريخ 18-11-2022 إلى 329932 وفي مطلع سنة 2024 تجاوز العدد 343000.

9- مثالا على ذلك، أن بعض التعليقات أثارت نقاشا حول حراس السيارات بالدار البيضاء. وتمخض عن النقاش حملة إلكترونية للتنديد بانتشار الحراس بشكل غير قانوني وبفرضهم أثمنة غير معقولة مقابل ركن العربة في الشارع، وبصدور تصرفات غير أخلاقية في حالة امتناع صاحب العربة عن أداء التسعيرة. امتدت الحملة الإلكترونية التي اتخذت شعار: "ضد مول جيلي صفر" لتتجسد مطلع شهر آب/غشت 2021 على شكل وقفات احتجاجية في الميدان، على مستوى بعض الأحياء في مدينة الدار البيضاء؛ وهي تطالب المسؤولين بتحرير الشوارع والفضاءات العمومية مما أسمته عمليات "الابتزاز". وفي خضم الغليان الذي رافق الحملة، فعلت المصالح المشرفة بمدينة الدار البيضاء نظام الشكايات الفورية، كما شنت المصالح الأمنية حملات تمشيطية لتوقيف المخالفين الذين يشتغلون بشكل غير قانوني.

10- من أكثر الظواهر تكرارا وحضورا في خطاب الفايسبوكيين ما يرتبط باللاأمن الحضري (urban insecurity): أعمال السرقة؛ ترويع وتعنيف المواطنين في الشارع؛ تخريب الممتلكات العامة...

11- انعقد الاجتماع يوم الثلاثاء 25 يناير 2022 بمقر الجماعة الحضرية للدار البيضاء، وناقش القضايا الحضرية والمشاكل المطروحة من طرف النشطاء على الشبكة، كما تطرق إلى تقرير أنتجته شبكة أنقذوا الدار البيضاء على شكل كتاب بعنوان: "Le livre noir de la ville blanche" وهو وثيقة تشخص أعطاب المدينة ومطالب النشطاء الحضريين.

قائمة البيبلوغرافيا

المراجع العربية

- الجموسي، جوهر. (2016). *الافتراضي والثورة: مكانة الإنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي*. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- رشيق، عبد الرحمان. (2021). *المجتمع ضد الدولة: الحركات الاجتماعية واستراتيجية الشارع بالمغرب* (ترجمة عز الدين العلام). الدار البيضاء: منشورات ملتقى الطرق.
- زكاغ، بشرى. (2023). *الشبكات الرقمية وديناميات الحقل الاجتماعي/السياسي بالمغرب*. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- كاستلز، مانويل. (2017). *شبكات الغضب والأمل: الحركات الاجتماعية في عصر الإنترنت* (ترجمة هايدي عبد اللطيف). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- ميغري، إريك. (2018). *سوسيولوجيا الاتصال والميديا*. ترجمة نصر الدين لعياضي. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- هارفي، ديفيد. (2017). *مُدن متمردة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحَضَر* (ترجمة لبنى صبري). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- رشيق، عبد الرحمان. (2016). السياسات العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب. *عمران*. *5*(18)، 7-32.

- قاوقاو، محجوبة. (2019). المجتمع الافتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي: نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الإلكترونية بواسطة الحاسوب. *عمران*، *8*(29)، 89-114.

المراجع الأجنبية

- Azizi, S. (2019). *L'internet au Maroc : Militantismes, sociabilités et solidarités numériques.* Paris : L'Harmattan.
- Casillli, A. (2010). *Les liaisons numériques : vers une nouvelle sociabilité ?* Paris : Editions du Seuil.
- Hachim, M. (2023). *CASABLANCA : Le livre noir de la ville blanche*. Casablanca : La Croisée des Chemins.
- Hine, C. (2000). *Virtual Ethnography,* California: Sage Publications Inc, 2000.
- Anglade, M. (2015). Casablanca, une « ville à l'envers » : Urbanités métropolitaines au prisme de la marginalité sociale au Maroc. *Thèse de doctorat* : Sciences de l'Homme et de la Société. CITÈRES – ÉMAM.
- Atifi, H. (2019). La vidéo en ligne de charité : espace de médiatisation de la vulnérabilité au Maroc, in Azizi (dir.). *L'internet au Maroc : Militantismes, sociabilités et solidarités numériques,* 103-125, Paris : L'Harmattan.
- Boullier, D. (2013). Plates–formes de réseaux sociaux et répertoires d'action collective. In: Sihem Najar (Ed.). *Les réseaux sociaux sur internet à l'heure des transitions démocratiques.* Paris: Editions Karthala.
- Flichy, P. (2005). Les réseaux de télécommunications instruments et outils de mesure de la sociabilité. *Flux*, (62), 31-37. https://doi.org/10.3917/flux.062.0031
- Granovetter, M. (1973). The Strength of Weak Ties. *The American Journal of Sociology*, *78*(6), 1360-1380.
- Majdoul, B. (2019). Jeunes séropositifs marocains et internet : la force d'un lien faible, in Azizi (dir.). *L'internet au Maroc : Militantismes, sociabilités et solidarités numériques.* 153-178, Paris : L'Harmattan.
- Paveau, Marie-Anne. (2019). Technographismes en ligne : Énonciation matérielle visuelle et iconisation du texte. *Corela*, HS-28. https://doi.org/10.4000/corela.9185
- Rachik, A. (2002). Casablanca: Politiques urbaines et pressions sociales. *NAQD*, *16*(1), 55-65. https://doi.org/10.3917/naqd.016.0055
- Wellman, Barry. (2002). Little boxes, glocalization, and networked individualism, In Makoto Tanabe, P. van den Besselaar et T. Ishida (Dirs.), *Digital cities II: Computational and sociological approaches*, Berlin, Springer.

Romanization of Arabic Bibliography

- Jmoussi, J. (2016). *Al-Iftradi wa al-Thawra: Makanat al-Internet fi Nash'at Mujtama' Madani Arabi [The Virtual and the Revolution: The Role of the Internet in the Emergence of an Arab Civil Society]*. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Rachik, A. (2021). *Al-Mujtama' Didd al-Dawla: Al-Harakat al-Ijtima'iyya wa Istrategyat al-Shari' bil-Maghrib (Tarjama Izz al-Din al-Allam) [Society Against the State: Social Movements and Street Strategy in Morocco]*. Casablanca: Manshurat Multaqa al-Turuq.
- Zekagh, B. (2023). *Al-Shabakāt al-Raqamiyya wa Dināmiya al-Haql al-Ijtimā'i/Al-Siyāsi bil-Maghrib [Digital Networks and the Dynamics of the Social/Political Field in Morocco]*. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Castells, M. (2017). *Shabakat al-Ghadab wa al-Amal: Al-Harakat al-Ijtima'iyya fi 'Asr al-Internet [Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the Internet Age]* (Trans Arabic. Haidi Abd al-Latif). Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Maigret, E. (2018). *Susiulujya al-Ittisal wa al-Media* [*Sociology of Communication and Media]* (Trans Arabic. Nasr al-Din Laayadhi). Al-Manama: Hay'at al-Bahrain lil-Thaqafa wal-Athar.
- Harvey, D. (2017). *Mudun Mutamarrida: Min al-Haqq fi al-Madina ila Thawrat al-Hadar [Rebel Cities: From the Right to the City to the Urban Revolution]* (Trans Arabic. Lubna Sabri). Beirut: Al-Shabaka al-Arabiya lil-Abhath wal-Nashr.
- Rachik, A. (2016). Al-Siyasat al-Umraniyya wa al-'Alaqat al-Ijtima'iyya fi al-Maghrib [Urban Policies and Social Relations in Morocco]. *Imran, 5*(18), 7-32.
- Qaouqao, M. (2019). Al-Mujtama' al-Iftradi wa Ishkaliyyat Tajdid Manhaj al-Bahth al-Susiulujy: Nahwa Bina' Namuthaj li-Dirasat al-Tafa'ulat al-Iliktruniya bi-Wasitat al-Hasub [Virtual Society and the Problematic of Renewing the Sociological Research Method: Towards Building a Model for Studying Electronic Interactions via Computers]. *Imran, 8*(29), 89-114.